أبو الأعلى المودودي

الأخ عصام العطار

عرفنا أبا الأعلى المودودي رحمه الله تعالى في أوائل الخمسينات ببعض رسائله الصغيرة الـــتي نقلـــت إلى العربيـــة وظهرت في لاهور سنة 1946م وفي القاهرة سنة 1950م مثل : منهاج الانقلاب السياسي ، شهادة الحق ، نظريـــة الإسلام السياسية .. فأعجبنا بسعة علمه ، ونفاذ فكره ، وسلامة منطقه ، وحسن عرضه .. كما أعجبنـــا بأصـــالة فهمه ، وقوة شخصيته ، ووضوح نهجه ، وتحرره الكامل من سلطان الأفكار الوافدة ، والأوضاع السائدة .. ممـــا لم يكد يسلم منه في ذلك الوقت أحدٌ من رجال الفكر والدعوة والحركة .. وأعجبنا بقدرته الفائقة على تخليص جوهر الإسلام مما علق به في القديم والحديث من أوضار ، والكشفِ عن منهجه الأصيل .. ومنهجِ العمل له ، وعن أهدافـــه المنشودة في واقعنا الراهن ، وسبلِ الوصول إلى هذه الأهداف

و لم يكن المودودي رجل علم وفكر فحسب ، ولكنه كان أيضاً رجل دعوة وحركة وجهاد .. لقد تكاملت فيه جوانب الشخصية الإسلامية التي تجزأت وانفصل بعضها عن بعض في عصور الانحطاط ، فعاش الإســـلامَ كلَّـــه في جوانبِ حياته كلِّها ؛ وقدم لنا في عصر التمزّق والضياع والصغار نموذجاً متكاملاً خالداً للإسلام وشموخ الإسلام

ولقد تابعنا جهاد المودودي كما تابعنا فكره ، وارتبطنا به بقلوبنا وعواطفنا ، وأحببناه أشد الحـــب في الله عـــزَّ وجلَّ .. ولا أستطيع أن أصف لكم مشاعرنا ونحن شباب عندما صدر حكم الإعدام عليه في باكستان سنة 1953م وهو يناضل أعداء الإسلام بقلمه وفكره ومواقفه .. وكيف هببنا بكل ما نملكه من وسائل لمناصرته ودفع هذه الكارثة الكبيرة عن الإسلام والمسلمين

أما لقائي المباشر الأول بالأستاذ المودودي فقد كان سنة 1955م في مدينة دمشق

ولقد لقيت المودودي أكثر من مرة وانعقدت بيننا أوثقُ أواصر الأخوة والمحبة والصداقة

ولقد لقيت المودودي على انفراد ، ولقيته بين خُلَّصِ إخوانه وتلامذته ، ولقيته في مجالس ضمت كبار العلماء ، وكبار رجال الدعوة ، وسمعته يتحدث إلى العدد اليسير والجمهور الغفير ، ورأيته في عمله وراحته ، وجدّه ودعابته .. وإنني لأشهد من خلال ذلك كله للأجيال المسلمة وللتاريخ هذه الشهادة :

لقد كان المودودي –رحمه الله– إنساناً عظيماً ، وعالماً عظيماً ، ومفكراً عظيما

كان عظيماً في خلقه وتواضعه عَظَمَتَهُ في علمه وفكره .. وإذا كان العلم والفكر معروضين لمن يشاء من الناس ، فإنّ على إخوان المودودي وتلامذته الذين عرفوه وعايشوه أن يُبرزوا للمسلمين أيضاً الجانب الإنساني والخلقي مـــن حياة هذا المسلم العظيم -كما كان يصفه المسلمُ العظيم الآخر سيد قطب- رحمهما الله تعالى

ومُنِعْتُ من دخول سورية وقد خرجت منها للحج ولواجبات إسلامية أخرى سنة 1964م ، وكُتِبَ عليَّ الغُربةُ والتشرّد مطارَداً من أعداء الإسلام ومستغليه ، وممن يسير في ركب هؤلاء وهؤلاء على حدٍّ سواء ، فكان المـــودودي دائم الاهتمام بأخباري ، لا ينقطع عن الاتصال بي والسؤال عني مباشرة أو عن طريق إخوةٍ أحبة من رجال (الجماعة الإسلامية) في باكستان .. ولست أنسى زيارة الأخ الحبيب غلام محمد أمير الجماعة الإسلامية في كراتشي رحمـــه الله تعالى .. لست أنسى زيارته لي في قطر عربي موفداً من الأستاذ المودودي -عقب إخراجي في لبنان- ليطمئنّ عليّ ، وليعرض عليّ من خدمات (الجماعة الإسلامية) ما أشاء

وتمرّ سنوات وسنوات ، ويمرض المودودي ويشتدّ عليه المرض ، وتضيقُ أيامُه وآلامه عن كثير من المهمـــات .. ولكنه لا ينقطع عن السؤال المستمر عن أخيه المشرّد الغريب بواسطة الأخ الجليل الأستاذ خليل الحامدي مـــدير دار العروبة للدعوة الإسلامية في لاهور

هذه كلمة سريعة أمليها وأنا في فراش المرض وبينَ أنيابِ الألم ، لتأخذ مكانها في (الرائد) و(الرائدُ) على وشـــك الظهور .. أما الحديث عن المودودي -كما يجب له ويجب للمسلمين عليّ- فله موعدٌ آخر إن شاء الله

رحم الله أخانا الكبير وأستاذنا الجليل وفقيدنا الخالد ، وأحسن فيه عـــزاء الجماعـــة الإســـلامية في باكـــستان وبنجلاديش وكشمير والهند .. وعزاء المسلمين في كل مكان ، وعوضهم جميعاً منه أحسن العوض ، وجزاه عنـــهم خير ما يجزي به العلماء الربّانيين ، والهداة الصادقين ، والمجاهدين الصابرين المصابرين .. وإنا لله وإنا إليه راجعون